سلسلة
معارف إلهية
تكشف عن آخر ما توصلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

٦

أَنواع الترادف في المنهج المعرفي

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

سلسلة
معارف إلهيَّة
تكشف عن آخر ما توصَّلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام
(٦)

أنواع الترادف
في
المنهج المعرفي

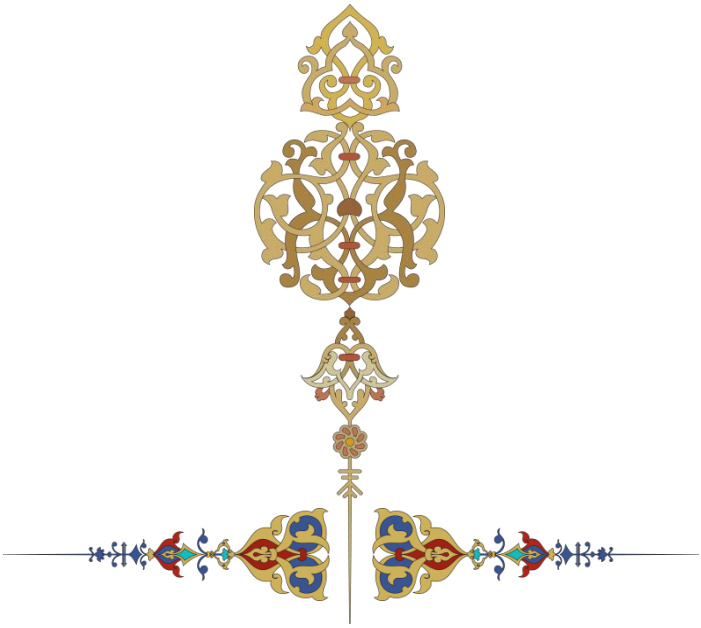

أَنْوَاع التَّرَادُف

فِي

المَنْهَج المَعْرِفِي

بقلم

الشَّيخ كامِل بَدِر الْحِلْفِيّ

محفوظة
جميع الحقوق

أسم الكتاب /

أنواع الترادف في المنهج المعرفي

بقلم /

الشيخ كامل بدر الحلفي

النجف الأشرف

سنة الطبع /

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦ م

الطبعة / الأولى

اخراج/

المهندس يوسف الخزعلي

٠٧٨١١٣٥٢٠٧٣

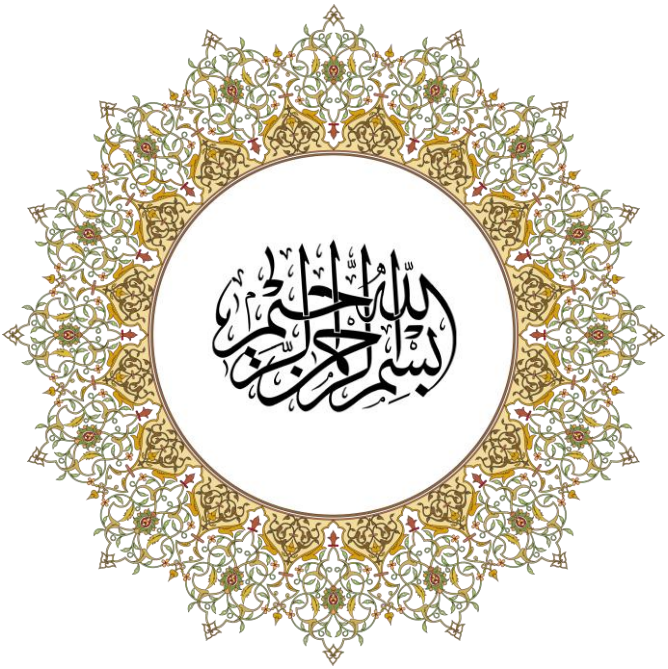
بسم الله الرحمن الرحيم

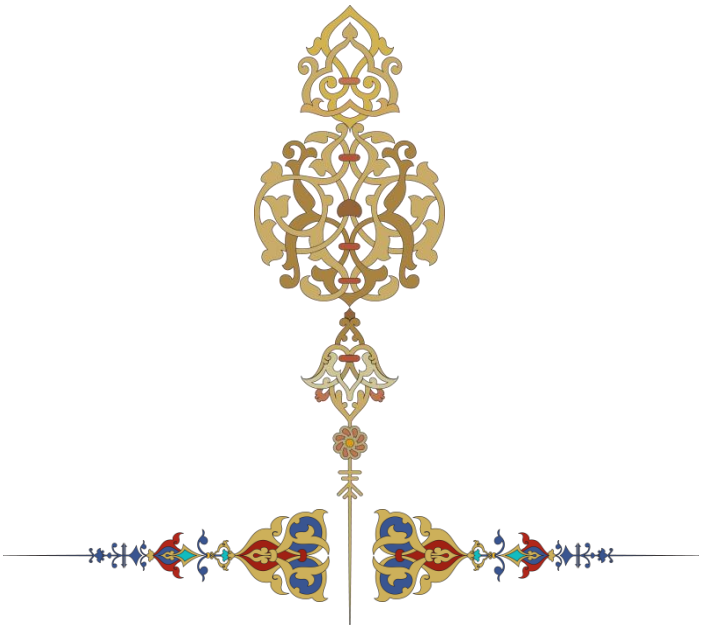

الْمُقَدَّمَة

الحمدُ لِلّٰـه الَّذي برأَ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفته عَلَىٰ سابق عِلْمِه في طاعته ، ونهج لهم سُبُل النَّجَاة ، وحذَّرهم من مسالك الهلكة. والحمدُ للَّـه الَّذي اصطفىٰ مُحَمَّداً رسوله عَلَىٰ جميع بريَّته ، واختاره لرسالته، وابتعثه بالهدىٰ والدِّين المُرتضىٰ إِلى عباده أَجمعين ، وأَنزل عليه الكتاب المبين المُستبين ، وتأَذَّنَ له بالنَّصر والتَّمكين ، وأَيَّده بالعزِّ والبرهان المتين. والحمدُ للَّـه الَّذي اصطفىٰ آله الأَطهار بعلمه ، ولم يصطفِ عليهم ، وأَيَّدهم بحلمه، مَنْ شَذَّ عنهم فالنَّار مأواه ، ومَنْ تفيّأ بظلِّ دوحتهم فالجنَّة مثواه. واللَّعنة الدَّائمة أَبد الآباد ودهر الدُّهور عَلَىٰ أَعدائهم وشانِئيهم وظالميهم ومتابعيهم ،

وغاصبي حقوقهم ، ومنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومناوئي شيعتهم من الأَوَّلين والآخرين.

وبعد : هذا هو الإِصدار السَّادس الَّذي مَنَّ الله تعالىٰ علينا أَنْ وَفَّقنا لإِصداره ضمن هذه السلسلة ، وهي سلسلة المعارف والعقائد المُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة بالقطع العقليّ ، بل والوحياني ، والمُستفاد جملة من بحوثها من الأَبحاث العلميَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والعقليَّة الحديثة الدَّائرة في أَروقة حوزة النَّجف الأَشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة ، والَّتي تحمل جملة هذه الأَبحاث والتَّحقيقات في طيَّاتها آخر ما توصَّلَت إِليه أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في جامعة العلم الكُبرىٰ (حوزة النَّجف الأَشرف) ، وكُلُّ ذلك إِداءً لواجب الدِّين والشَّريعة ، وقياماً بفروض الخدمة للحنيفيَّة البيضاء ، وإِحياءً لِـمَا قد اِنْدَرَسَ من معالم الدِّين والإِيمان ، وانْطَمَسَ تحت أَطباق البَلَىٰ ، وإِعلاءً لكلمة الحقِّ ؛ كلمة العدل والصِّدق ، ونشراً لأَلوية معارف الإِسلام المُقَدَّس والإِيمان الأَقدس ، وذبّاً عن مدرسة الحقيقة ؛ مدرسة أَهل البيت (صَلَوات اللّٰـه عليهم).

وهذا الإِصدار يتعرَّض لـ : (أَنواع التَّرادف في المنهج المعرفي)،

وهذه الأَنواع خطيرة ـ لا سيما الأَخيرين ـ في مقام الإِستنباط والتَّوصُّل إِلى النتائج الحقَّة ، وأَصل قويم ومُطَّرد في عَالَم الحقائق مُهِمٌّ جِدّاً ، وضروريٌّ في مباحث المعارف الإِلٰهيَّة ، وفيه من الفحولة بمكان ، ومَنْ تَمسَّكَ بها استقام سيره العلمي والمعرفي بحركةٍ قويَّةٍ.

وإِليه جلَّ شأنه ابتهل أَنْ يَمُدَّني ويَمُدَّ إِخوتي بالتَّوفيق ، ويلحظ أَعمالنا بعين القبول إِنَّه سميع حميد مجيد ، وصلَّىٰ اللّٰـه عَلَىٰ سيِّد رسله مُحَمَّدٍ وسائر أَهل البيت الأَطهار.

من جوار مرقد أَمير المؤمنين عليه السلام

الشَّيخ كامل بدر الحلفيّ

الجمعة/ ١٠ شعبان/ ١٤٤٧هـ

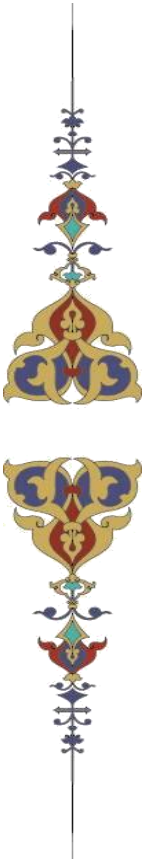

أَنواع التَّرادف في المنهج المعرفي

ينبغي الِالتفات : أَنَّ للتَّرادف ـ كعنصر مؤثِّر في الِاستظهار والِاستنباط من الأَدلَّة ، وكمقدِّمة ذات دخالة في مواد الِاستدلال البرهاني ـ أَقساماً وأَنحاءً ثلاثة : ترادف لغوي (لفظي). وترادف عقلي (معنوي). وترادف وجودي (تكويني عيني وتلازمات واقعيَّة)[1].

(١) التَّعرُّف عَلَىٰ هذه الأَقسام الثلاثة لا تنحصر أَهمِّيَّته ـ تنظيراً وتطبيقاً ـ بالبيئة العلميَّة ، وإِنَّما هي ـ هذه الأَقسام الثلاثة ـ خير تُرجمان ووسيلة لنشر تعاليم الوحي الإِلٰهيّ المُقدَّس ، والإِرشاد إِلى هداية نوره ، وإِيصال ذلك النُّور إِلى أَذهان المخلوقات ومجتمعاتها وشرائحها ذات الأَفهام والأَذواق والمذاقات المتفاوتة والمختلفة بشكل أَسهل؛ فإِنَّ العلوم بعدما كانت عَلَىٰ طبقات متفاوتة ومختلفة كانت لغاتها والحاكي عنها ، ووسيلة ←

← تفهيمها عَلَىٰ طبقات متفاوتة ومختلفة أَيضاً تُوصِل لما ورائها من غايات ، وأَهم الترجمات ليست اللِّسانيَّة ، بل المعنويَّة العقليَّة.

النَّحو الأَوَّل:

التَّرادف اللُّغوي (اللَّفظي)

المراد من التَّرادف اللُّغوي (اللَّفظي) ـ والَّذي عادة ما تكون مفرداته لغويَّة ـ : اِشتراك أَلفاظ مُتعدِّدة في تمام معناها.

مثاله : اِشتراك لفظ : (الإِنسان) ، و(البشر) في تمام معنىٰ : (الحيوان النَّاطق).

وهذا النَّحو من التَّرادف لم يُنجز اِكتشافه لحدِّ الآن بشكل وافر وكامل ؛ لتوقُّفه عَلَىٰ التَّرادف العقلي (المعنوي) ، المُتوقِّف[١] عَلَىٰ التَّحليل العلميّ للمعاني الكثيرة ، وعَلَىٰ التَّنقيب والنَّقض والإِبْرَام ، والتَّأَمُّل والتَّدبُّر في المواد الواصلة ـ ومنه يتَّضح وجه التَّسمية[٢] بـ : (التَّرادف المعنوي) ؛ لكون موطنه[٣] المعاني ـ ومِنْ ثَمَّ وقع في

---

(١) أَي : التَّرادف العقلي (المعنوي).

(٢) أَي : تسمية الترادف العقلي بـ : (التَّرادف المعنوي).

(٣) مرجع الضمير : (التَّرادف العقلي (المعنوي)).

التَّرادف اللُّغوي الخلاف ، فأَقرَّه بعض وأَنكره آخر ؛ لِاختلاف النَّظرة ؛ فإِنَّه : إِن كان المدار عَلَىٰ النَّظرة العرفيَّة ـ وهي مبتنية عَلَىٰ التَّسَامُح والتَّساهل وعدم التَّدقيق والتَّحليل ـ فالمناسب هو الأَوَّل[1] ، ومن ثَمَّ إِذا صبَّ الدَّليل الخاصّ أَثراً أَو حُكْماً معيَّناً عَلَىٰ عنوان الإِنسان بلحاظ ماهيَّته ، وحصل القطع واليقين : أَنَّ ماهيَّة الإِنسان علَّة تامَّة لهذا الأَثر أَو الحُكْم سرَّىٰ العقل النَّظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى عنوان البشر من دون حاجة إِلى دليل آخر.

وإِنْ كان المدار علىٰ النَّظرة الدِّقِّيَّة العقليَّة التَّحليليَّة فالمناسب هو الثَّاني[2] ؛ لعدم وجود اِتِّحاد ـ بالدِّقَّة العقليَّة ـ بين المعاني ؛ لأَنَّ كُلَّ لفظةٍ دالَّة عَلَىٰ حالةٍ من حالات المُسمَّىٰ ، فلفظة : (الإِنسان) دالَّة عَلَىٰ حالةٍ مُعيَّنة من حالات : (الحيوان النَّاطق) ، ولفظة : (البشر) دالَّة عَلَىٰ حالةٍ أُخرىٰ من حالاته ، فأَين الإِتحاد ؛ كيما يحصل الإِشتراك بتمام المعنىٰ.

---

(١) أَي : القول الأَوَّل ، وهو : إِقرار وإِثبات التَّرادف اللُّغوي.

(٢) أَي : القول الثاني ، وهو : إِنكار ونفي الترادف اللُّغوي.

ومِنْ ثَمَّ إِذا صبَّ الدَّليل الخاصّ أَثراً أَو حُكْماً مُعيَّناً عَلَىٰ عنوان الإِنسان بلحاظ ماهيَّته ؛ فلا يُسرِّي العقل النَّظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى عنوان البشر من دون دليلٍ خاصٍّ ؛ وإِنْ حصل القطع واليقين بأَنَّ ماهيَّة الإِنسان علَّة تامَّة لهذا الأَثر أَو الحكم.

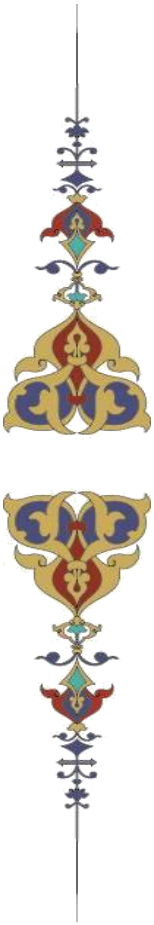

النحو الثَّاني :

التَّرادف العقليّ (المعنويّ)

التَّرادف العقلي (المعنوي) نحو من أَنحاء التَّرادف ، وهذا النحو[١][٢] من تطوُّر : (علم أُصول الفقه) ، و(علم الأَدب) ، و(علم الأَلفاظ) ، و(علوم الدِّلالـة) ، و(علوم قراءة النَّصّ الدِّيني) ، ومن تطوُّر البحوث : (العلمية) ، و(المعرفيَّة).

وهذا النحو من التَّرادف وإِنْ كان معروفاً في العلوم والمعارف

---

(١) بحث التَّرادف العقلي : تنقيح وتحرِّي ثبوتي للواقعيَّات ، وليس مُجرَّد اِستكشاف دلالي وإِثباتي.

وَأَحد ثمرات هذا المنهج ـ أَي : الترادف العقلي ـ:

اِكتشاف المعنىٰ : (المتواتر) ، و(المستفيض) ، و(الموثوق) النَّظري؛ المُكْتَشَفَة ـ هذه الأَنحاء الثَّلاثة ـ بقوَّة الاِجتهاد والتَّحقيق. بل هناك ثمرة وفائدة أَعظم ، وهي : اِكتشاف نظام توافق وموافقة الأَدلَّة لقواعد الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة كبنيان منظومي.

(٢) **ينبغي الاِلتفات** : أَنَّ لسان ولغة بيانات الوحي في أَبواب المعارف لغة عقليَّة.

العقليَّة، لكنَّه غير معروفٍ في العلوم الأَدبيَّة واللُّغويَّة.

وقد يبدو للوهلة الأُولىٰ أَنَّه منهجٌ وبحثٌ ذوقيٌّ اِستحسانيٌّ ، لكن مَنْ يغور فيه بوعي ودراية يجده منهجاً حكيماً ، وصراطاً قويماً ، وسبيلاً مُستقيماً، وركناً حطيماً ، وبحثاً في بحور المعقولات غير المتناهية ، بليغ وخطير ، تعرف العقول عدله ، ولا يسعها إِنكار فوائده الزَّاخرة ، وجواهره النَّاصعة ، ودرره الفاخرة لَمَنْ يغوص بالأَدلَّة والبراهين العلميَّة في بحوره الخضم الزاخرة الَّتي يعبُّ عبابها ، وتصطخب أَمواجها ، الحاملة في طيَّات أَجوافها درر وجواهر الحقيقة الفاخرة ، فتورد سالكها منهلاً نميراً رويّاً صافياً ، تطفح ضِفَّتاه ، ولا يرتنق جانباه ، والغائص فيه وإِنْ بَعُدَ في الغور لكنَّه لا ينال نهاية حقيقته.

والمراد منه:

اِتحاد واشْتِرَاك عنوانين أَو لفظين أَو شيئين أَو ذاتين أَو ماهيَّتين أَو هويَّتين أَو حقيقتين أَو أَكثر في جزء المعنىٰ ـ سوآء أَكانا مُشْتَرَكِين في تمام الأَجزاء أَم لا ـ ؛ ولو كان جزءاً مُتجزِّءاً مِنْ أَجزاء المعنىٰ وإِنْ كان ضئيلاً ؛ فسوآء أَكان ذلك الجزء المُشْتَرَك هو :

(الجنس) أَو (جنس الجنس) متوسِّطاً كان أَم عالياً أَو بعيداً ، أَو كان ذلك الجزء المُشْتَرَك هو : (الفصل) قريباً كان أَم مُتَوَسِّطاً أَم بعيداً ، أَو كان ذلك الجزء المُشْتَرَك هو : (الخاصَّة) أَو (لازم) أَو (معنىٰ فوقي).

وبهذا المقدار مِنْ الاِشْتِرَاك يحكم العقل النَّظري بالتَّرادف في تلك الحيثيَّة ، ومِنْ ثَمَّ الآثار والأَحكام الَّتي يُحكَم بها عَلَىٰ شيءٍ ؛ الثابتة بتوسُّط الجزء المُشْتَرَك يَحْكُم بها العقل النَّظري عَلَىٰ مرادفه بالتَّرادف العقلي.

مثال الأَوَّل ـ أَي : المُشترِك في تمام الأَجزاء والمعنىٰ ـ : ما مَرَّ في مثال التَّرادف اللُّغوي ، وهو : اِتِّحاد واِشْتَرَك لفظ وعنوان الإِنسان والبشر في تمام معناهما ، وهو : (الحيوان النَّاطق) [1].

مثال الثاني ـ أَي : المُشْتَرِك في بعض أَجزاء المعنىٰ ـ : له

---

(١) **ومنه يُعلم** : أنَّ النِّسْبَة المنطقيَّة بين التَّرادف العقلي والتَّرادف اللُّغوي هي : العموم والخصوص المطلق ؛ فإِنَّ التَّرادف العقلي أَعمُّ مُطلقاً من التَّرادف اللُّغوي؛ فكُلُّ مترادفين لغة مترادفان عقلاً ، لكن ليس كُلُّ مترادفين عقلاً مترادفين لغة.

مصاديق مُتعدِّدة، منها:

١ـ اِشْتِرَاك ماهيَّة وحقيقة الإِنسان وسائر الحيوانات كالفرس في الجنس القريب ، وهو : (الحيوان).

وَمِنْ ثَمَّ كانت كثير من أَحكام وآثار طبيعة سائر الحيوانات موجودة في الإِنسان ؛ فلذا تجد كثيراً من البحوث الطِّبِّيَّة ؛ واِكتشافـات المُصُوْل واللِّقَاحَات والأَدوية الَّتي يُراد ترتيب أَحْكَامها ؛ وآثارها عَلَىٰ الإِنسان تجري اِبتداءً وتُجَرَّب عَلَىٰ بعض الحيوانات ؛ كالقِرَدَةِ والفئران والغنم والبقر والخنازير ، وبعدها تُجَرَّب عَلَىٰ الإِنسان ، ومعناه : وجود أَجزاء مشتركة بين هذه الحيوانات والإِنسان ؛ سرت مِنْ خلالها تلك الأَحْكَام والآثار عَلَىٰ الجميع.

وعليه : فإِذا صَبَّ دليلٌ خاصٌّ أَثراً أَو حُكْماً مُعيَّناً عَلَىٰ عنوان الفرس ـ مثلاً ـ بتوسُّط ذلك الجزء المُشْتَرَك بين الفرس والإِنسان ـ وهو : الحيوان ـ وحصل قطع ويقين : أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك علَّة تامَّة لذلك الأَثر أَو الحُكْم سرَّىٰ العقل النظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى عنوان الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

٢ـ اِشْتِرَاك عنوان وطبيعة وحقيقة الإِنسان والنبات في الجنس المُتوسُّط للإِنسان ، وهو (الجسم النَّامي).

ومن ثَمَّ كانت كثير من أَحكام وآثار طبيعة النباتات مودعة في ذات وبدن الإِنسان ، فلذا تُجرىٰ تجارب مُتعدِّدة عَلَىٰ النباتات من قبيل الأَحماض والإِنزيمات والخلايا كيف تنمو ، وفي حال نجاحها تُجْرَىٰ وتُرتَّب أَحكامها وآثارها عَلَىٰ الإِنسان.

وعليه : فإِذا صبَّ دليلٌ خاصٌّ أَثراً أَو حُكْماً مُعَيَّناً عَلَىٰ عنوان نباتٍ بتوسُّط ذلك الجزء المُشْتَرَك بينه وبين الإِنسان ـ وهو : الجسم النَّامي ـ وحصل قطع ويقين : أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك علَّة تامَّة لذلك الأَثر أَو الحُكْم سرَّىٰ العقل النظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

٣ـ اِشْتِرَاك عنوان وطبيعة وذات الإِنسان والجماد في (الجسم) ؛ فلذا كانت كثير من أَحكام وآثار طبيعة الجمادات مغروزة في ذات الإِنسان وبدنه، مِثْل : العناصر الأَوَّليَّة للفلزات ، وبعض خواصِّ : (الحديد) و(الكهرباء) و(المغناطيس) ، فإِذا اِكتشفوا تلك العناصر المُشْتَرَكة ، ولاحظوا الأَحكام والآثار المترتِّبة عَلَىٰ الجمادات من خلالها

سَرُّوا في العلوم التَّجريبيَّة أَحْكَامها وآثارها عَلَىٰ الإِنسان.

وَمِنْ ثَمَّ إِذا صَبَّ دليلٌ خاصٌّ أَثراً أَو حُكْماً مُعيَّناً عَلَىٰ عنوان جمادٍ بتوسُّط ذلك الجزء المُشْتَرَك بينه وبين الإِنسان ـ وهو : الجسم ـ وحصل قطع ويقين : أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك علَّة تامَّة لصبِّ ذلك الأَثر أَو الحُكْم سرَّىٰ العقل النظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

٤ـ اِشْتِرَاك عنوان وماهيَّة وهويَّة وذات المَلَك والإِنسان في (العقل)[1] ؛ فإِنَّ هناك جهات مُشْتَرَكة بين المَلَك والإِنسان ، منها :

---

(١) هناك جهة أُخرىٰ مُشْتَرَكة بين الإِنسان والملائكة ، وهي : لغة المعاني؛ فإِنَّها لغة التَّخاطب بينهما.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قدسه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ [النساء : ٩٧].

٢ـ بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ [فصلت : ٣٠].

←

→ بل هذه اللُّغة مُشْتَرَكة أَيضاً بينهما وبين مخلوقات جمَّة ، فاللُّغَة المُشْتَرَكة بين الإِنسان والجنّ ، بل بينه وبين الحيوانات هي لغة المعاني ، فإِنَّ للحيوات درجة من درجات الاِشْتِرَاك في المعاني.

مثال ذلك : المعاني الوهميَّة ـ كالخوف ، والاِنبساط ، والغريزة ـ فإِنَّها كما هي موجودة لدىٰ الإِنسان والملائكة والجنّ موجودة أَيضاً لدىٰ سائر الحيوانات ، تحسُّ بها ، وتتعامل معها.

بل هناك لغة أُخرىٰ مُشْتَرَكة بين الإِنسان والملائكة والجنّ والحيوانات والنباتات ، بل كافَّة المخلوقات ، وهي : لغة الفطرة ، فإِنَّها لغة تكوينيَّة معنويَّة تفاعليَّة ، تُفسَّر وتُترجَم وتُبيَّن بها جمله الأَشياء والأُمور ، وهي أَسرع اللُّغات فهماً وأَكثرها شيوعاً وانتشاراً عند كافَّة المخلوقات ، وعَلَىٰ ضوء هذا يتمكَّن الإِنسان من تفسير حالات وظواهر عجيبة وغريبة تبدو بين المخلوقات مع اِختلاف أَجناسها وأَنواعها.

وهذا ـ أَي : بحث لغة الفطرة ـ باب وسيع ، ولغة من لغات المعارف ، ونظاماً من نظم أَبواب المعارف الجذَّابة والرَّائجة جِدّاً في العصر الرَّاهن ، وبها يُرتَّب ويُقرَّب البرهان لإِثبات : (التَّوحيد) ، و(النُّبوَّة) ، و(الإِمامة) ، و(المعاد) ، وقد شيَّدت بيانات الوحي هذا الباب ، وذَكَرَتها بعناوين مختلفة وكثيرة مقاربة لمعناها اللُّغوي ، منها : (الصِّبْغَة) و(الجِبِلَّة). ←

(العقل) ، فكما أَنَّ للمَلَك قوَّة فهم وعقلاً عمليّاً وقلباً كذلك للإِنسان. **وعليه** : فتكون حقيقة المَلَك مطويَّة في ذات الإِنسان ، وهذه الحقيقة قابلة في ذات الإِنسان للشدَّة والضَّعف ؛ فقد تشتدُّ كمالاً أَو تفتر وتضعف وتخمد وتموت.

ومن ثَمَّ إِذا صَبَّ دليلٌ خاصٌّ أَثراً أَو حُكْماً مُعيَّناً عَلَىٰ عنوان مَلَكٍ بتوسُّط ذلك الجزء المُشْتَرَك بينه وبين الإِنسان ـ وهو : العقل ـ، وحصل قطع ويقين : أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك علَّة تامَّة لصَبِّ ذلك الأَثر أَو الحُكْم ؛ سرَىٰ العقل النظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

وبالجملة : إِذا كانت هناك أَحكامٌ أَو آثارٌ مُترتِّبة عَلَىٰ الشيء بلحاظ ذلك الجزء المُشْتَرَك ؛ فإِذا دلَّ الدَّليل عَلَىٰ ترتُّبها عَلَىٰ أَحد

← واستعمال لغة الفطرة أَحد أَسباب وأَسرار نجاح الأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام لا سيما سيِّدهم نبيُّنا الأَكرم صلى الله عليه وآله في التَّأثير عَلَىٰ البشريَّة؛ فإِنَّهم اِهتمُّوا بها من بين سائر اللُّغات.

بخلاف سائر المُصلحين من البشر؛ فإِنَّهم لا يستخدمونها ولا يهتمُّون بها غالباً.

المترادفين ، وحصل القطع أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك عِلَّة تامَّة لذلك الحُكْم أَو الأَثر ، فلا محالة حينئذٍ من دلالته عَلَىٰ ترتُّبها عَلَىٰ المرادف الآخر من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر. كما لو دلَّ الدَّليل عَلَىٰ ترتُّب أَثراً وحُكْماً مُعيَّناً عَلَىٰ المَلَك بلحاظ كونه (عاقلاً) ـ كما تقدَّم ـ ، وحيث إِنَّ الإِنسان يشترك معه بهذا الجزء ، فإِذا جُزم بأَنَّ هذا الجزء المُشْتَرَك ـ وهو : العقل ـ علَّة تامَّة ـ لصَبِّ ذلك الحُكْم والأَثر فلا محالة حينئذٍ من دلالته وسريان ذلك الحُكْم والأَثر إِلى الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليل آخر.

وهذه ليست تخيُّلات أَو تخرُّصات ، بل حقائق مُستفادة من الأَجزاء المُشْتَرَكة بين المخلوقات ، وبتوسُّط صناعة : (التَّحليل والتَّركيب).

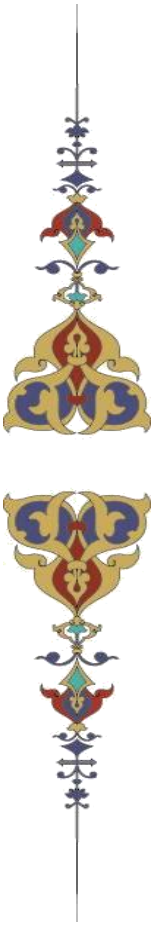

صناعة : (التَّحليل والتَّركيب)

يُعبَّر عن آليَّة اِكتشاف الجزء المُشْتَرَك بـ : «صناعة التَّحليل والتَّركيب» ، وهي أَحد الصناعات الثلاث في الاِستدلال العقلي والطرق[1] للوصول إِلى البرهان ، المذكورة في علم المنطق:

أَحدها : (القياس الاِقْتِرَاني) بأَشكاله الأَربعة.

ثانيها : (الاِستقراء التَّام).

ثالثها : (التَّحليل والتَّركيب) ؛ فعندما يُعرَّف الإِنسان بصناعة التَّحليل والتَّركيب يُقال : هو : «جوهر ، جسم حسَّاس ، نامي ، مُتحرِّك بالإِرادة ، ناطق» ، وكُلُّ هذه المعاني وغيرها مُندكَّة ومُدمجة وملفوفة في (معنىٰ) لفظة الإِنسان ؛ لأَنَّ للعقل قدرة وهبتها له ومتعته بها يد السَّاحة الإِلٰهيَّة ؛ عَلَىٰ كبس المعاني الكثيرة ودمجها وصهرها في معنىٰ واحد ؛ عبر قدرة الدَّمج والتَّركيب ، وله القدرة أَيضاً عَلَىٰ تحليلها وتفكيكها ، فإِذا أَراد تحليل معناها الوحداني

---

(١) هذا عطف عَلَىٰ كلمة (الصناعات) ، فتكون العبارة كالتَّالي : (وهي أَحَد الطرق للوصول إِلى البرهان...).

وتفكيكه وتفسيره فسوف يقول مثلاً : الإِنسان : «جوهر ، جسم حسَّاس ، نامي ، مُتحرِّك بالإِرادة ، مُدْرِك للكلِّيَّات» ، فبالنَّظرة الأَوَّليَّة وإِنْ كان المعنىٰ بسيطاً ، لكنَّه بصناعة التَّحليل تصبح معاني عديدة.

وهذا المنهج يوسِّع في اِستنطاق الأَدلَّة وتحليل مفادها ومعانيها بطرقٍ أَعمق وأَغور ، فلا يقتصر الإِستدلال ـ عَلَىٰ وفق هذا المنهج ـ عَلَىٰ الأَلفاظ المُشْتَرَكة وغيرها ، ولا عَلَىٰ سطح المعاني ـ أَي : لا يقتصر عَلَىٰ المعنىٰ المُتَّحِد في سطح الإِدْرَاك الأَوَّلي ـ وإِنَّما يعتمد[1] عَلَىٰ المعنىٰ الـمُتَّحِد والمَطْوِيِّ بِخَفَاءٍ في طيَّاته معانٍ مُتعدِّدةٍ ، وهذا ـ المنهج والأُسلوب ـ يؤدِّي إِلى اِكتشاف الأَجزاء المُشْتَرَكةَ بين المعاني كنظام مُوحِّد بينها ، وهو اِكتشاف لبُنْيَان النظام في المعاني.

وعليه : فَمَنْ يلتفت في أَبواب المعارف إِلى التَّرادف العقلي فستتَّسع لديه دائرة المعارف ؛ إِذ البحث والمعنىٰ لا يدور مدار اللَّفظ الواحد ، بل ولا يدور مدار المعنىٰ الفارد.

---

(١) أَي : الإِستدلال عَلَىٰ وفق هذا المنهج.

وهذا المنهج في الِاستدلال ـ ناموس وقاموس المعرفة والمعارف ـ يأتي في كُلِّ العلوم ، كعلم : (العقائد) ، و(التَّفسير) ، و(الأَخلاق) ، و(فقه الفروع) ، وقد مارسه فحول الفقهاء ؛ فيُلاحظون ـ بعد التَّحليل عَلَىٰ وفق الموازين العلميَّة ـ الأَثر والحُكْم المُنصبّ عَلَىٰ الجهة المُشْتَرَكَة ، فإذا جزموا بـ : أَنَّ تلك الجهة المُشْتَرَكَة عِلَّة تامَّة لذلك الحُكْم أَو الأَثر حكموا بدوران ذلك الحُكْم أَو الأَثر وراء تلك الجهة المُشْتَرَكَة ، ومن ثَمَّ أَيّنما وجدت تلك الجهة المُشْتَرَكَة وفي أَيِّ شأنٍ ومخلوقٍ صَبُّوا ذلك الحُكْم أَو الأَثر عليه من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

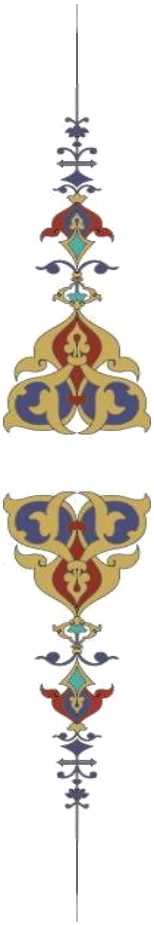

مدرَسَة النَّصِّ : تمسُّكٌ بقوالب بيانات الوحي والغور فيها

ومنه يتَّضح : أَنَّه حينما يُقال : إِنَّ مدرسة أَهل البيت عليهم السلام هي مدرسة النَّصِّ فليس معناه : حشويَّة وقشريَّة وحبوسيَّة عَلَىٰ أَلفاظ نصوص بيانات الوحي الإِلٰهيّ ؛ وإِلَّا كيف كانت أُمّ التَّأويل بالحقِّ بِاعتراف الجميع ، وإِنَّما معناه : التَّمَسُّك بقوالب بيانات الوحي ، والغور في لُباب بحور وأَغوار معانيها الطَّمطَامة المُتلاطمة غير المتناهية ؛ فيكون أُفق مدرسة النَّصِّ ـ وهي مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ـ غير متناهٍ أَيضاً. وهذا هو معنىٰ قاعدة : (التَّوقُّفيَّة)، أَو (التَّوقيتيَّة) ، أَو (التَّعبُّديَّة) الواردة في باب الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، بل وسائر أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة ؛ فمِن جهةٍ يُتْمَسَّك بالنَّصِّ الوحياني ؛ ولا يُعْمَل الرَّأْي عَلَىٰ خلافه ، ومِنْ جهةٍ أُخرىٰ يُفتح باب الإِجتهاد والغوص والغور في درجات وطبقات المعاني غير المتناهية لقوالب بيانات الوحي الإِلٰهيّ. ويُعبَّر عن هذا المنهج بـ : «علم التَّحليل».

ويحتاج الباحث في هذا المنهج إِلى : (تضلُّع) و(نباهة) و(التفات سريع) و(قدرة تحليلية للمعاني).

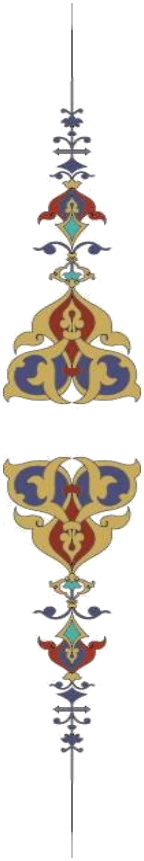

عُمُوم عِلْم التَّحليل لِجُملة العلوم

ثُمَّ إِنَّ علم التَّحليل يأتي في كُلِّ العلوم ، كعلوم : (المعارف) ، و(التَّفسير) ، و(الأَخلاق) ، و(فقه الفروع) ، و(السياسة) ، و(القانون) ، و(الطب) ، و(الأَمن والحسّ الأَمني) ، و(الفيزياء) ، و(الكيمياء) ، و(الرِّياضيات) ، و(الهندسة) ، و(الفلسفة) ، ويأتي أَيضاً في : الشُّبهات ، والحملات المُوَجَّهة : للأُطْرُوحات والمذاهب الدِّينيَّة ، والحوزات العلميَّة ، بل لُمطلق الدِّين ، سواء كان في عَالَمَ السياسة ، أَو عَالَمَ القانون ، أَو الجدل القانوني ، أَو المغالطة.

هذا هو التَّرادف العقلي المُستفاد من صناعة : (تحليل وتركيب المعنىٰ).

وهذا النوع من التَّرادف ـ كما تقدَّم ـ لا يتنافىٰ مع مدرسة النَّصِّ، ولا يتنافىٰ مع قاعدة (التَّوقُّفيَّة والتَّوقيتيَّة والتَّعبُّديَّة) الجارية في باب الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة وسائر أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة.

وعَلَىٰ ضدِّه قامت مدرسة السَّقيفة وأَتباعها ، فمِنْ جهة يتمسَّكون بالرأي ، وَمِنْ جهةٍ أُخرىٰ يسدُّون باب الإِجتهاد.

بل وكذا عملت المدارس الفلسفيَّة ، فشعارها وإِن كان حُريَّة الرَّأي ، لكن واقعها الوقوف عند درجةٍ معيَّنةٍ ؛ لأَنَّهم فهموا الحقائق عَلَىٰ وفق القدرة والطَّاقة البشريَّة ؛ وهي محدودة ، ولم يلتفتوا إِلى سَعَةِ وقدرة الوحي غير المتناهية.

بل وكذا عملت المدارس العرفانيَّة ؛ فإِنَّها تدور مدار المُكاشفات والمُشاهدات بحسب القدرة البشريَّة ، وتركت : (الوحي) ، و(القدرة الإِصطفائيَّة غير المتناهية وغير المحدودة) ، و(النُّبُوَّة) ، و(الإِمامة الإِلٰهيَّة).

وبالجملة : مدرسة الرَّأي ، ومدرسة الفلسفة ، ومدرسة العرفان وغيرها من المدارس البشريَّة جموديَّة وقشريَّة وحبوسيَّة ، وصاحبة نتاج بشريّ ضيّق ، فمِنْ جهةٍ هو : نتاج بشريّ في عُرْضَةِ الخطأ والضَّلال والزَّيغ والإِنحراف ، ومن جهةٍ أُخرىٰ : نتاج محدود ومتناهي حبوسيّ قشريّ حشويّ.

بخلاف نتاج مدرسة الوحي الإِلٰهيّ ـ وهي : مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ـ ؛ فإِنَّه من جهةٍ هو : صَمَّام أَمَان ، ومن جهةٍ أُخرىٰ : مترامي في عدم التَّناهي وعدم المحدوديَّة ؛ وحينئذٍ

يكون الإلتصاق به نجاة من الضلال والزَّيغ والإنحراف ، ونجاة من ضيق وحبس القدرة البشريَّة والضِّيق والمحدودية. **وعليه** : تكون العبوديَّة. بهذا المعنىٰ : تحرُّر وحرِّيَّة وانطلاق في رحاب غير المحدود وغير المتناهي.

إِذَنْ : واقع ما يُقال من حرِّيَّة الرَّأي وما شاكله في المدارس البشريَّة هو: حبس وسجن ؛ لإعتمادها عَلَىٰ القدرة البشريَّة ، وهي ضيِّقة ومحدودة ومتناهية بضيق ومحدوديَّة وتناهي البشر وقواه ، بخلاف السيح والسياحة في بحور علوم الوحي غير المحدودة وغير المتناهية ؛ فإنَّها حرِّيَّة وتحرُّر من قيود المحدود والتَّناهي إلى رحاب بحور الأَنوار الخِضَم الزَّاخِرَة غير المحدودة وغير المتناهية.

وإلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1].

٢ـ بيان جلَّ قدسه : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ

---

(١) الكهف : ١٠٩.

﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[1].

٣ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[2].

ودلالتها واضحة ؛ فإنَّ أَلفاظ بيانات الوحي الإلٰهيّ الشَّريف وعَالَم التَّنزيل مهما بلغت محدودة ومتناهية ، لكنَّ الغور فيها وفي قوالب معانيها وحقائقها وعَالَم التَّأويل بحور نور طَمْطَامة غير محدودة وغير متناهية أَزلاً وأَبداً.

وما ذُكر من عدد في بيان قوله جلَّ قدسه ـ ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ ـ ليس المراد منه حقيقة العدد ، بل لبيان مُطلق الكثرة ؛ وأَنَّه مهما بلغ مدد الأَقلام فكلمات الله ومعانيها وحقائقها لا تنفد أَبداً عبر طُرّ العوالم ، كحال بيان قوله تقدَّست أَسماؤه : ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[3] ، فَذِكْرُ السَّبعين كناية عن مُطلق الكثرة من دون أَنْ تكون هناك خصوصيَّة للعدد ، ومِنْ ثَمَّ عُلِّل :

---

(١) لقمان : ٢٧.

(٢) النحل : ٩٦.

(٣) التوبة : ٨٠.

بقوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهو لا يختلف بالإستغفار وعدمه ، وبالإستغفار قَلَّ أَم كثر.

وقد ورد في تفسير : ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أَنَّها حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة وتتبعها طبقات حقائقهم المتوسِّطة والنَّازلة ، فتكون علوم مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ومعارفها وشؤونها وفضائلها وكمالاتها ومقاماتها غير محدودة وغير متناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور عبر جملة عوالم الخلقة غير المتناهية.

فانظر : بيانات الوحي ، منها:

بيان تفسير الإمام الهادي (صلوات اللّـه عليه) : «... **وَأَمَّا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ فهو كذلك ؛ لو أَنَّ أَشجار الدُّنيا أَقلام والبحر يمدَّه سبعة أَبحر وانفجرت الأَرض عيوناً لنفدت قبل أَنْ تنفد كلمات اللّـه ... ونحن كلمات اللّـه الَّتي لا تنفد ولا تُدرَك فضائلنا ...**»[1].

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٠ : ٣٨٦ـ ٣٩٠/ ح١. تحف العقول : ٤٧٦ـ ٤٨١.

٤ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام ، عن عَلِيّ بن أَبي حمزة ، قال : «لا تعجب ، فما خفي عليكَ من أَمر الإِمام أَعجب وأَكثر ، وما هذا من الإِمام في علمه إِلَّا كطير أَخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء ، أَفترىٰ الَّذي أَخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ قال : فإِنَّ الإِمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده ، وعجائبه أَكثر من ذلك ، والطير حين أَخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً ، كذلك العَالِم لا ينقصه علمه شيئاً[1] ، ولا تنفد عجائبه»[2].

ودلالته واضحة.

وهذه الحقيقة[3] ـ كسائر حقائق المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ـ ستتجلَّىٰ في عَالَمَ البرزخ ، وعَالَمَ الرَّجعة ، وعَالَمَ القيامة ، وعَالَمَ الآخرة الأَبديَّة وبعدها. فالتفت ، واغتنم تربت يداك.

---

(١) في نسخة : (شيء).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١٩٠ـ ١٩١/ ح٢. قرب الإِسناد : ١٤٤.

(٣) إِشارة إِلى ما تقدَّم من أَنَّ حرِّيَّة الرأي المدَّعاة في مدارس البشر هي حبس وسجن، بخلاف السّباحة في بحور الوحي فإِنَّها حريَّة وتحرّر في غير المتناهي.

أَمثلة تطبيقيَّة

ولتوضيح فكرة التَّرادف العقلي أَكثر نَذكر المثالين التَّطبيقيِّين التَّاليين:

المثال الأَوَّل:

نُكْتَة كُنْيَة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بـ: (أَبي القاسم)

ما ذكره الإِمام الرِّضا عليه السلام، عن عَلِيّ بن الحسن بن فضَّال، عن أَبيه، قال: «سألتُ الرِّضا عليه السلام فقلتُ له: لِمَ كُنِّي النَّبيّ صلى الله عليه وآله بأَبي القاسم؟ فقال: **لأَنَّه كان له ابن يُقال له: قاسم، فكُنِّي به**، قال: فقلتُ: يابن رسول الله، فهل تراني أَهلاً للزِّيادة؟ فقال: **نعم، أَمَا علمتَ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أَنا وَعَلِيّ أَبوا هذه الأُمَّة»**؟ قلتُ: بلىٰ، قال: **أَمَا علمتَ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أَب لجميع أُمَّته، وعليّ بمنزلته**[1] **فيهم**؟ قلتُ: بلىٰ، قال: **أَمَا علمتَ أَنَّ عليّاً قاسم الجنَّة**

(١) في علل الشرائع: «وعَلِيّ عليه السلام فيهم بمنزلته». وفي عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام: «وَعَلِيّ عليه السلام منهم».

والنَّار؟ قلتُ : بلىٰ ، قال : **فقيل له : أَبو القاسم ؛ لأَنَّه أَبو قاسم الجنَّة والنَّار** ، فقلتُ له : ما معنىٰ ذلك؟ فقال : **إِنَّ شفقة الرَّسول عَلَىٰ أُمَّته شفقة الآباء عَلَىٰ الأَولاد ، وأَفضل أُمَّته عَلِيّ** عليه السلام **، ومن بعده شفقة عَلِيّ** عليه السلام **عليهم كشفقته ؛ لأَنَّه وصيَّه وخليفته والإِمام بعده ، فلذلك قال** صلى الله عليه وآله : **«أَنا وَعَلِيّ أَبوا هذه الأُمَّة»** ، **وصعد النّبيُّ** صلى الله عليه وآله **المنبر فقال : «مَنْ ترك دَيناً أَو ضياعاً[1] فعَلَيَّ وَإِلَيَّ ، وَمَنْ ترك مالاً فلورثته»** ، **فصار بذلك أَولىٰ بهم من آبائهم وأُمَّهاتهم ، وصار أَولىٰ بهم منهم بأَنفسهم ، وكذلك أَمير المؤمنين** عليه السلام **بعده ، جرىٰ له مِثْل ما جرىٰ لرسول اللَّه** صلى الله عليه وآله**»**[2].

وتقريب الدلالة واضح ؛ فإِنَّ الرَّاوي طلب من الإِمام عليه السلام

---

(١) قال الجزري : «فيه مَنْ ترك ضِيَاعاً فإِلَيَّ ، الضِّيَاع : العيال ، وأَصله مصدر ضَيَاع يضيع ، فسُمِّي العيال بالمصدر ، كما تقول : من مات وترك فقراً ، أَي : فقرآء ، وإِنْ كُسِرَت الضَّاد كان جمع ضَائع كجَائع وجِيَاع». (البحار).

(٢) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٩٥/ح٢٩. علل الشرائع : ٥٣ـ ٥٤. معاني الأَخبار: ٢٠. عيون الأَخبار : ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

بيان معنىٰ أكثر غوراً وعمقاً من المعنىٰ الأَوَّل ، والإِمام عليه السلام قَبِل ، فَحَلَّل بصناعة التَّحليل معنىٰ : (الأُبوَّة) ، ومعنىٰ : (القاسم) ، ولاحظ الأَجزاء المُشتركة بين معاني الأُبوَّة ، ومعاني القاسم والمُتمثِّلة في الشَّفقة ، وسَرَّ عليه السلام ـ بتوسُّط هذا الجزء المُشترك ـ أَثر وحُكْم أَحدهما للآخر.

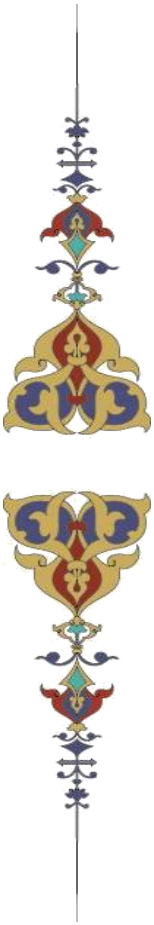

المثال الثَّاني:

قاعدة: «لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا»

سند قاعدة: «**لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شِئْتُم فإِنَّكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته ... لا تسمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شِئْتُم؛ فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا، ولا معشار العشر**»[1].

وهذه قاعدة كليَّة، وحيانيَّة وعقليَّة، عقائديَّة ومعرفيَّة وكلاميَّة، مُترامية الأَطراف، قُرِّر فيها: عدم تناهي حقائق وفضائل أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وكمالاتهم ومقاماتهم وشؤونهم؛ فإِنَّها دالَّة عَلَىٰ أَنَّ جميع ما ثبت للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة من فضائل وكمالات ومقامات وشؤون غير متناهية ثابتة لهم (صلوات اللّـه عليهم) إِلَّا الأُلوهيَّة؛ لخروجها تخصُّصاً وموضوعاً.

---

(١) بحار الأَنوار، ٢٦: ١ـ٧/ح١.

وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّ بيان هذه القاعدة يُريد أَنْ يُثْبِت : أَنَّ المخلوق إِذا جعل أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) مخلوقين ومألوهين ومربوبين استوت لديه هذه القاعدة ، وحينئذٍ كُلّ ما خطر عَلَىٰ باله أَو أَتَىٰ بوصفٍ وفضيلةٍ وكمالٍ وعُلُوِّ شأنٍ ومقامٍ في حقِّهم (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ سوآء سمعها من معصومٍ أَم لا كان جميع ذلك حقّ ، لكن جميع ذلك أَدنىٰ مِمَّا يتمتَّعون به (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ فإِنَّ ما يتمتَّعون به من أَوصافٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ ، وعُلُوِّ شؤونٍ ومقاماتٍ ؛ عبر جملة العوالم والنَّشَآت غير متناهي وغير محدودٍ أَبد الآباد ودهر الدُّهور.

لكن : مضمون هذه القاعدة مخيف لدىٰ مَنْ ليس له تضلُّع وتبحُّر في المباحث المنهجيَّة ونظريَّة المعرفة في العلوم الدينيَّة وتراث الوحي ، ومن ثَمَّ اِستوحش منها الكثير إِلى حَدٍّ أَنَّ الشَّيخ مُحَمَّد تقي التستري ـ مع ما له من تضلُّعٍ وتبحُّرٍ في التَّتبُّع ، لكنَّ تضلُّعه وتبحُّره في التَّتبُّع ـ أَخفق في المقام فأَنكر مصدر هذه القاعدة وادَّعىٰ : أَنَّ بيان هذه القاعدة حديث موضوع لا سند له.

لكنَّ الحقّ وما ثبت بالاِستقراء اليسير ـ من خلال مراجعة

مصدرين من مصادرنا الروائيَّة ، وهما : بصائر الدرجات ، وأُصول الكافي ، ولم تُراجع سائر المصادر كـ : توحيد الصدوق ، وعيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ومختصر البصائر ، واحتجاج الطبرسي ، وتفسير القُمِّي وغيرها الجمّ الغفير من مصادرنا الروائيَّة في القرن الثَّالث والرَّابع والخامس الهجري فوجدنا ـ : أَنَّ لها في هذين المصدرين اِثني عشر طريقاً ، بل هذه القاعدة موجودة أَيضاً في كتاب الكشِّي[1] ، لكن بأَلفاظٍ مُتعدِّدةٍ بينها ترادف عقليّ ، بل لفظيّ.

ولو سلَّمنا بما ذكره التستري فيُمكن إِثبات تواتر هذه القاعدة عقلاً وبفكرة التَّرادف العقلي ، وذلك ببيان مُركَّب من مُقدِّمتين:

الأُولىٰ : أَنَّ هناك براهين وحيانيَّة وافرة ، بالغة حدّ التَّواتر اللَّفظي ، بل والعقلي ، بل والوحياني ، مورثة للقطع واليقين اللَّفظي،

(١) لا بأس بالِالتفات : أَنَّ كتاب الكشي كتاب عظيم جِدّاً ، ولا يختصُّ بعلم الرِّجَال ، بل فيه معارف وعقائد ، ويُعطي بصيرة عظيمة وثاقبة ، وقد أَوصىٰ بقراءته كُبَّار العلماء جيلاً بعد جيل ، ومن يُكرِّر قراءته ثلاث أَو أَربع مَرَّات فسيقف عَلَىٰ أَسرار في مدرسة ومنهاج أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ، ويقف عَلَىٰ مذاقهم عليهم السلام.

بل والعقلي ، بل والوحياني ، بل بالغة حدّ الضرورة النقليَّة والعقليَّة والوحيانيَّة ، دالَّة عَلَىٰ أَنَّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) عِللٌ فاعليَّةٌ ووسائطُ فيض لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير المتناهية ، من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية له.

فانظر : بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ ، عن جابر بن عبدالله ، قال : «قلت لرسول الله ﷺ : أَوَّل شيء خلق الله تعالىٰ ما هو؟ فقال : **نور نبيُّكَ يا جابر ، خلقه الله ثُمَّ خلق منه كُلّ خيرٍ...**»[1].

ودلالته واضحة عَلَىٰ أَنَّ طبقات حقائق سيِّد الأَنبياء ﷺ الصَّاعدة وسائط فيض إِلٰهيَّةً.

ثانياً : بيانه ﷺ أَيضاً : «**... فنحن الأَوَّلون ونحن الآخرون ... ونحن يمين الله ... ونحن مفاتيح الرَّحمة ، ونحن ينابيع النِّعمة ... ونحن الكفاة والولاة والحياة والسّقاة والرّعاة ...**»[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٤ : ١٧٠/ ح١١٦. رياض الجنان : (مخطوط).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢٢/ ح٣٨. رياض الجنان : (مخطوط).

ثالثاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **فإِنّا صنائع ربّنا والنَّاس بعد صنائع لنا ...**»[١].

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**أَنا دحوتُ أَرضها ، وَأَنشأتُ جبالها ، وفجرتُ عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ، وأَطعمتُ ثمارها ، وأَنشأتُ سحابها ، وأَسمعت رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وأَضحيتُ شمسها ، وأَطلعتُ قمرها ، وأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ، وأَنا البحر القَمْقَام الزَّاخِر ، وسكنتُ أَطوارها ، وأَنشأتُ جواريّ الفُلك فيها ، وأَشرقتُ شمسها ، وأَنا جنب الله وكلمته ، وقلب الله وبابه الذي يؤتىٰ منه ، ادخلوا الباب سجداً أَغفر لكم خطاياكم وأَزيد المحسنين ...**»[٢].

خامساً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... أَنَا الَّذي حملتُ نوحاً في السفينة بأَمر ربِّي، وَأَنا الَّذي أَخرجتُ يونس من بطن الحوت بإِذن ربِّي ، وَأَنا الَّذي جاوزتُ بموسىٰ بن عمران البحر بأَمر ربِّي ، وأَنا الَّذي**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٣ : ٥٧ـ ٥٨/ح٣٩٨. الاحتجاج ، ١ : ٢٦٠. وعَلَىٰ منواله : بيان الناحية المُقدَّسة : بحار الأَنوار ، ٥٣ : ١٧٨/ح٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٨/ح٢٠.

أَخرجتُ إِبراهيم من النَّار بإِذن ربِّي ، وَأَنَا الَّذي أَجريتُ أَنهارها ، وَفَجَّرتُ عيونها ، وغرستُ أَشجارها بإذن ربِّي ، وأَنَأ عذاب يوم الظُّلَّة ... إِنِّي لأَسمع كُلّ قوم[1] الجبَّارين والمنافقين بلغاتهم ... وَأَنَا مُعَلّم سليمان بن داود ... وَأَنا قدرة الله ﷻ ...»[2].

سادساً : بيان الإِمام عَلِيّ بن الحسين عليهما السلام : «**... فنحن معانيه ومظاهره فيكم ، اخترعنا من نور ذاته ، وفوض إِلينا أُمور عباده ، فنحن نفعل بإِذنه ما نشاء ، ونحن إِذا سئنا شاء الله ، وإِذا أَردنا أَراد الله ...**»[3].

سابعاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**... وجعلنا عينه في عباده ، ولسانه النَّاطق في خلقه ، ويده المبسوطة عَلَىٰ عباده بالرَّأفة والرَّحمة ، ووجهه الَّذي يؤتىٰ منه ، وبابه الَّذي يدلُّ عليه ، وخُزَّانه في سمآئه وأَرضه ، بنا أَثمرت الأَشجار ، وأَينعت الثمار ، وجرت الأَنهار ، وبنا**

---

(١) في نسخة : (كلّ يوم).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٥/ح١.

(٣) المصدر نفسه : ١٤/ح٢.

أَنزل[١] **غيث السَّمآء ، ونبت عشب الأَرض ...»**[٢].

ثامناً : بيان النَّاحية المُقدَّسة : «**... ونحن صنائع ربنا ، والخلق بعد صنائعنا ...**»[٣].

تاسعاً : بيان زيارة سيِّد الشهداء عليه السلام : «**... بكم فتح الله وبكم يختم اللَّـه ، وبكم يمحو الله ما يشاء ، وبكم يُثبت ... وبكم تنبت الأَرض أَشجارها ، وبكم تخرج الأَشجار أَثمارها ، وبكم تنزل السَّمآء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب ، وبكم ينزل الله الغيث ، وبكم تُسَبِّح الله الأَرض الَّتي تحمل أَبدانكم ، وتستقل جبالها عَلَىٰ مراسيها ، إِرادة الرَّبّ في مقادير أُموره تهبط إِليكم ، وتصدر من بيوتكم...**»[٤].

---

(١) في المصدر : (نزل).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ١٩٧/ ح٢٤. توحيد الصدوق : ١٤٠ـ ١٤١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ١٧٩ـ ١٨٠/ ح٩. غيبة الشيخ : ١٨٤ـ ١٨٥. الإِحتجاج : ٢٥٣.

(٤) بحار الأَنوار ، ٩٨ : ١٥٣. كامل الزيارات : ١٩٧.

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة ولا غبار عليها ؛ علىٰ أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة عِلل فاعليَّة إِلٰهيَّة ، ووسائط فيض إِلٰهيَّة لكافَّة العوالم وجميع المخلوقات غير المتناهية ؛ من بداية الخلقة والوجود إِلى مالانهاية له.

وتأويل المعصوم عليه السلام لبعض هذه الأَلفاظ وحملها عَلَىٰ معانيها المجازيَّة ؛ أَو عَلَىٰ طبقات حقائها النَّازلة ذلك إِذا ظهرت أَمارات عدم تحمُّل السَّامع لمعانيها الحقيقيَّة ، ودفعاً لمحذور واحتمال : الوقوع في الضَّلال والزَّيغ والإِنحراف يؤوُّلها عليه السلام ويـحملها عَلَىٰ معانيها المجازيَّة ؛ أَو عَلَىٰ طبقات حقائقها النَّازلة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن بكير بن أَعين ، قال «... **والله ، إِنِّي لأَعلم ما في السَّماوات ، وأَعلم ما في الأَرض ، وأَعلم ما في الدُّنيا ، وأَعلم ما في الآخرة ، فرأَىٰ تغيُّر جماعة ، فقال : يا بكير ، إِنِّي لأَعلم ذلك من كتاب الله تعالىٰ ، إِذ يقول : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا**

لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[١]»[٢].

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن الحارث بن المغيرة وعِدَّة من أَصحابنا ، فيهم : عبد الأَعلىٰ ، وعبيدة بن عبد الله بن بشر الخثعمي ، وعبد الله بن بشر ، سمعوا أَبا عبد الله عليه السلام يقول : «**إِنِّي لأَعلم ما في السَّماوات ، وأَعلم ما في الأَرض ، وأَعلم ما في الجنَّة ، وأَعلم ما في النَّار ، وأَعلم ما كان وما يكون**. قال : ثُمَّ مكث هنيئة ، فرأَىٰ أَنَّ ذلك كبر عَلَىٰ من سمعه ، فقال : **علمتُ من كتاب الله ، إِنَّ الله يقول** : «**فيه تبيان كلّ شيء**» »[٣].

ود لالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

وهذا بخلاف مَنْ يتحمَّل بيانات : علومهم ومعارفهم وفضائلهم وكمالاتهم ومقاماتهم وشؤونهم (صلوات اللّـه عليهم) ـ كـ : سلمان ، وأَبي ذر ، وجابر بن يزيد الجعفي ـ فإِنَّه عليه السلام يُبقيها عَلَىٰ

---

(١) النحل : ٨٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٨/ ح٢٩. مناقب آل أَبي طالب ، ٣ : ٣٧٤.

(٣) بصائر الدرجات ، ١ : ٢٦٤/ ح٤٩٧ ـ ٥. الكافي ، ١ : ٢٦١/ ح٢.

معانيها الحقيقيَّة من دون تأويل وحمل عَلَىٰ معانيها المجازيَّة.

فلاحظ واعد الكرَّة عَلَىٰ ما تقدَّم ، بل ما سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) فستجد صدق ما نقول واضحاً ؛ فإِنَّكَ لا تجد البَتَّة بياناً وحيانيّاً ذُكرت فيه علوم ومعارف أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، ومقاماتهم وفضائلهم وكمالاتهم وعُلُوّ شؤونهم وأَحوالهم المهولة والخطيرة جِدّاً ، والَّتي لا يتحمَّلها إِلَّا ملك مُقرَّب ، أَو نبيّ مُرسَل ، أَو مؤمن امتحن الله قلبه للإِيمان ، وكان طرفه أَحد حواريّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) حمله الإِمام عليه السلام المباشر عَلَىٰ معانيه المجازيَّة ، وتلك بياناتهم عليهم السلام فاطرقها تجد ما ذكرناه واضحاً.

خلاصة هذه المُقدِّمة : أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة : علل فاعليَّة إِلٰهيَّة ؛ ووسائط فيض إِلٰهيَّة لطُرِّ العوالم وجملة المخلوقات غير المتناهية ، من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية له.

المُقدِّمة الثانية : هناك قاعدة معرفيَّة ، وحيانيَّة وعقليَّة ، قُرِّرت في بيانات الوحي الإِلٰهيّ ، وهي : «أَنَّ مَنْ وصف شيئاً بكُنْه كان

أَعظم من الموصوف». وهي تنحلُّ إِلى قاعدتين:

الأُولىٰ : «إِنَّ مَنْ وصف شيئاً بالكُنْه فقد أَحَاط به».

الثَّانية : «إِنَّ مَنْ أَحَاط بشيءٍ كان أَعظم منه»(١).

ويدلُّ عليها : بيانات وحيانيَّة وعقليَّة وافرة ، منها:

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «... **مَنْ حَدَّ شيئاً فهو أَكبر منه**»(٢).

٢ـ بيانهم عليهم السلام : «**إِنَّ الله تبارك وتعالىٰ لا يُوصَف ، ورسوله لا يُوصَف، والمؤمن لا يُوصَف ، فمَن احتمل حديثهم فقد حدَّهم ، وَمَنْ حدَّهم فقد وصفهم ، وَمَنْ وصفهم بكمالهم فقد أَحاط بهم ؛ وهو أَعلم منهم**»(٣).

---

(١) مَنْ أَراد الإِطِّلاع أَكثر عَلَىٰ بيان وتفصيل هذه القاعدة ، والإِطِّلاع أَكثر عَلَىٰ أَدلَّتها فليراجع ما سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في مباحث الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، المقصد الثالث ، باب التَّوحيد.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٩٤. بصائر الدرجات ، ١ : ٦٨/ح ١٠٠ ـ ١٥.

(٣) بصائر الدرجات ، ١ : ٦٧/ح ١٠٠ ـ ١٥.

ومعناه : أَنَّ المخلوق بعدما كان ما معلولاً فلا يُمكنه وصف كُنْه عِلَّته ، وإِلَّا لزم إِحاطته به[1] ، ولازمه أَعظميَّة المعلول وَأَشرفيَّته مِنْ عِلَّته ، وتقدُّمه عليها. لكنَّه : باطل بالضَّرورة. فإِذا بطل التَّالي فالمُقدَّم مِثْله.

والنتيجة : أَنَّ أَهل البيت عليهم السلام بعدما كانوا عِلَلَ فيضٍ إِلٰهيَّةٍ فاعليَّةٍ لجملة المخلوقات ، فمهما بالغ المخلوق في وصفهم ، وذكر فضائلهم وكمالاتهم ، ومقاماتهم ومراتبهم وشؤونهم فلن يبلغ كُنْهها وحدّها ونهايتها أَزلاً وأَبداً.

هذا هو مضمون بيان القاعدة الكريمة ؛ وبيان الحديث الوحياني العقلي الشَّريف الَّذي أَنكره المُحَقِّق التستري.

وحيث إِنَّ هذه النتيجة قطعيَّة ويقينيَّة ؛ لقطعيَّة ويقينيَّة ذينك المقدِّمتين ، فيكون مضمون الحديث الشَّريف الَّذي أَنكره التستري قطعيّاً ويقينيّاً أَيضاً ؛ لوحدة المضمون ، وهو المطلوب.

---

(١) مرجع الضمير : (كُنْه العلَّة).

النَّحو الثَّالث :

التَّرادف الوجودي

المراد من التَّرادف (الوجودي التَّكويني العيني الإِرتباطي والتَّلازمات الواقعيَّة) : تقارن وتلازم واتِّحاد تكويني في اللَّوازم الوجوديَّة والمعاني الإِلتزاميَّة ، بمعنىٰ : وحدة الإِرتباط والعلائق ، سوآء أَكان ذلك التَّلازم في المعنىٰ أَو في الوجود ، فإِنَّ اللَّوَازِم دائماً تُحيط بالمعنىٰ ، نظير إِحاطة المنظومات الشَّمسيَّة بالشَّمس.

وبعبارة أُخرىٰ : هذا النَّحو من التَّرادف لا يعتمد عَلَىٰ وحدة تمام المعنىٰ أَو المعنىٰ الظاهر كما في التَّرادف اللُّغوي (اللَّفظي) ، ولا يعتمد عَلَىٰ الجزء المُشْتَرَك من المعنىٰ وإِنْ كان خفيّاً كما في التَّرادف العقلي (المعنوي) ، بل ولا يعتمد عَلَىٰ الوحدة في المعنىٰ أَصلاً ، وإِنَّما يعتمد عَلَىٰ وجود الرَّابطة الوجوديَّة بين شيئين وإِنْ لم يكن بينهما رابطة وارتباط في المعنىٰ أَصلاً.

وهذا النحو من التَّرادف خفيٌّ وغير معروفٍ ، ورُبَما حصلت

تحقيقات أَخيرة في بحوث المعرفة تفتح أَبواب الفهم والاستدلال عليه ، مع أَنَّه هائل ومهول وخطير جِدّاً ؛ لكون عَالَمَ التَّرابط الوجودي للمعاني عَالَمَاً شاسعاً ومُهمّاً ؛ يَصبُّ في بحث المنطق ، وبحث المنهج ، وبحث الإِستِدلال ، ولا ربط له بالأَصوات ، وإِنَّما ربطه بمنظومة الإِرتباطات الوجوديَّة للمعاني.

ورغم صعوبة اِكتشاف التَّرادف العقلي لا سيما مع إِختلاف درجاته[1] في الخفاء ، لكن اِكتشاف هذا النحو من التَّرادف أَصعب بكثير مِنْ اِكتشاف التَّرادف العقلي ؛ لكونه يتخطَّىٰ عالم المعنىٰ إِلى تقصِّي العينيَّة الواقعيَّة ؛ وملاحظة الآثار والتَّأثيرات في الوجود ، وملاحظة التقارن : هل كان بسبب الملازمة والتَّسبُّب في التَّأثير أَو لا.

وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّ منظومة الوجود وأَنْظِمَته أَوسع ترابطاً بين الأَشياء المختلفة من ترابط الأَشياء في جانب معانيها اللُّغويَّة وذاتيَّاتها ، فإِنَّ التَّرابط بين الأَشياء في جانب المعنىٰ من ناحية ذواتها ـ أَجناساً كانت ذواتها أَم أَنواعاً أَم أَصنافاً ـ أَضيق دائرة من ترابطها في

(١) مرجع الضمير : (التَّرادف العقلي).

جانب الوجود العيني.

والخلاصة : أَنَّ أُفق التَّرادف العقلي أَوسع من أُفق التَّرادف اللُّغوي ، وأُفق التَّرادف الوجودي أَوسع من أُفق التَّرادف العقلي (المعنوي) ، وبالأَولى يكون أَوسع من أُفق التَّرادف اللُّغوي ، فتكون النِّسْبَة المنطقيَّة بينهما وبين التَّرادف الوجودي العموم والخصوص المُطلق ؛ فإِنَّ التَّرادف الوجودي أَعَمُّ مطلقاً منهما ، فيكون كُلّ ترادفٍ لغويٍّ أَو عقليٍّ هو ترادف وجوديّ ولا عكس.

مثاله في التلازمات التكوينيَّة الحاصلة بين حقائق المعاني : التَّحسين ، والرَّغبة ، والميل ، والشوق ، والمحبَّة ، والودّ ، والولاء ، والتولِّي ، والرَّجاء. فهذه الحقائق إِضافة لترادفها العقلي مترادفة أَيضاً بالتَّرادف الوجودي التَّكويني بلحاظ : لوازمها ، ومصاديقها ، ووجوداتها الخارجيَّة.

مثاله في التَّلازمات الماديَّة : وحدة نظام حلقات الطبائع في الأَرض ـ الدورة الطبيعيَّة في الأَرض كما هو المُصطلح في علم الأَحياء ـ ؛ فالمياه ـ مثلاً ـ تؤثِّر عَلَىٰ الهواء والتُّربة ، وكذا العكس.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] .

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في ردِّه عَلَىٰ بعض أَهل الأَديان في الخبر المشتهر بالإِهْلِيلَجَة[2] ، قال عليه السلام : «... **إِنْ أَريتكَ التدبير مؤتلفاً بالحكمة والإِتقان ، معتدلاً بالصنعة ، محتاجاً بعضه إِلى بعض ، مُتَّصِلاً بالأَرض الَّتي خرجت منه الإِهْلِيلَجَة في الحالات كلّها أَتقرُّ بخالق ذلك؟ قال : إِذَنْ لا أَشكُّ في الوحدانيَّة ، قلتُ : فافهم وافقه ما أَصِفُ لكَ : أَلستَ تعلم أَنَّ الأَرض مُتَّصِلة بإِهْلِيلَجَتكَ ، وإِهْلِيلَجَتكَ مُتَّصِلة بالتُّراب ، والتُّراب مُتَّصِل بالحرِّ والبرد ، والحرِّ والبرد مُتَّصِلَان**

---

(١) الروم : ٢٤.

(٢) الإِهْلِيلَجَة : شجر ينبت في بلاد الهند وكابل والصين ، وثمره عَلَىٰ هيئة حَبِّ الصَّنوْبَر الكبار؛ معروف منه أَصفر ومنه أَسود ، وهو ينفع من الخوانيق ، ويحفظ العقل ، ويزيل الصداع ، واللَّفظ هندي ، والعامَّة تُسقط الهمزة.

والإِهلِيج : عقير من الأَدوية ، تعريب : (هلِيلَة).

بالهواء ، والهواء مُتَّصِل بالرِّيح ، والرِّيح مُتَّصِلة بالسَّحَاب ، والسَّحَاب مُتَّصِل بالمطر ، والمطر مُتَّصِل بالأَزمنة ، والأَزمنة مُتَّصِلة بالشَّمس والقمر ، والشَّمس والقمر مُتَّصِلان بدوران الفَلَك، والفَلَك مُتَّصِل بما بين السَّمآء والأَرض ، صنعة ظاهرة ، وحكمة بالغة ، وتأليف مُتقن ، وتدبير مُحكم مُتَّصِل ، كُلّ هذا ما بين السَّمآء والأَرض، ولا يقوم بعضه إِلَّا ببعضٍ ، ولا يتأَخَّر واحد منهما عن وقته ، ولو تأَخَّر عن وقته لهلك جميع مَنْ في الأَرض من الأَنام والنباتات؟ قال : إِنَّ هذه لهي العلامات البيِّنات ، والدلالات الواضحات الَّتي يجري معها أَثر التَّدبير بإِتقان الخلق والتَّأليف مع إِتقان الصنع ، لكنِّي لستُ أَدري لعلَّ ما تركتَ غير مُتَّصِل بما ذكرتَ. قلتُ : وما تركتُ؟ قال : النَّاس. قلتُ : أَلستَ تعلم أَنَّ هذا كلّه مُتَّصِل بالنَّاس ، سخره لها المدبِّر الَّذي أَعلمتُكَ أَنَّه إِنْ تأَخَّر شيء مِمَّا عددتُ عليكَ هلكت الخليقة ، وباد جميع ما في الحديقة ، وذهبتْ الإِهْلِيلَجَة الَّتي تزعم أَنَّ فيها منافع النَّاس؟ ...»[1].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣ : ١٩٠/ ح١.

مثاله في التَّلازمات بين الجانب المعنوي والجانب المادِّي : ما أَشارت إِليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّست أَسماؤه : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١].

٢ـ بيان قوله جلَّ قدسه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[٢].

٣ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**»[٣].

٤ـ بيان الدُّعاء : «**... أَسأَلُكَ اللَّهُمَّ ... أَنْ تُصلِّي عَلَىٰ مُحمَّد وآله وأَنْ تغفر لي الذُّنوب الَّتي تُغيِّر النِّعم ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تُحدث النِّقم ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تحبس القسم ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تهتك العصم ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تمنع العطاء ، وتغفر لي**

---

(١) الروم : ٤١.

(٢) الأَعراف : ١٥٢.

(٣) بحار الأَنوار ، ٦٦ : ٤٩.

الذُّنوب الَّتي تُنزل البلاء ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تحجب الدُّعاء ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تُعَجِّل الفناء ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تقطع الرَّجاء ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تورث الشَّقاء ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تظلم الهواء ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تكشف الغطاء ، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تحبس قطر السَّمآء ...»[1].

ودلالة الجميع واضحة ولا غبار عليها.

(١) بحار الأَنوار ، ٩٢ : ٤٣٥ـ ٤٣٦.

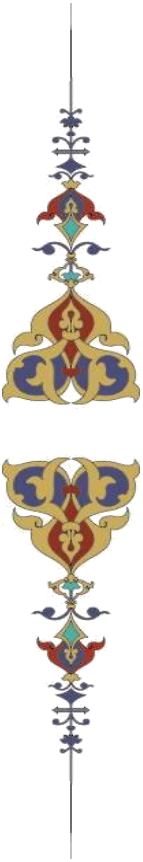

خلاصة ما تقدَّم

وزبدة المخض : أَنَّه لا يمكن للباحث في أَبواب المعارف التَّحقيق والوصول لحقيقة معيَّنة ؛ والتثبُّت منها عبر لسان فارد ، وإِلَّا وقع في خطأٍ فاحشٍ ، بل لا تتمُّ نباهة الباحث في أَبواب المعارف ولا تتوسَّع أَبحاثه ، ولا يصل إِلى النتائج الحقَّة ـ بالموازين العلميَّة ، والشواهد والدلالات المُعتبرة علميَّة أَو لفظيَّة ؛ بحيث لا تتناقض تلك النتائج ولا تتخالف مع مُحكمات الدِّين ـ إِلَّا بعد الإِلتفات إِلى : (التَّرادف اللُّغوي اللَّفظي) ، و(التَّرادف العقلي المعنوي) ، و(التَّرادف الوجودي التَّكويني والتَّلازمات الواقعيَّة).

وهذا هو الفارق بين تجديد الدِّين وإِحيائه ، والبِدْعَة والإِنحراف عن جادَّة الإِستقامة ؛ فمَا وافق مُحكمات وبديهيَّات الكتاب الكريم ؛ ومُحكمات وبديهيَّات السُّنَّة الشَّريفة فخذوه ، وما خالفهما فذروه.

وهذه الضَّابطة لا تختصُّ بعلوم الوحي الإِلٰهيّ ، بل تشمل أَيضاً طُرّ العلوم ، فالبحث في علم : (الفيزياء) ، و(الكيمياء) ، و(الرياضيَّات) ، و(الهندسة) ، و(الطب) وغيرها ، وتَبَنِّي نظريَّاتها

وَأَبحاثها لا يمكن أَنْ يكون حقّاً إِلَّا إِذا لم يتصادم مع بديهيَّات ذلك العلم ؛ فإِنَّ بديهيَّات العلوم وحي مُنْزَل ، فإِذا تطابقت وتوافقت وتناغمت وتلائمت وترابطت هذه الأَبحاث، والنَّتائج ، والنَّظريَّات مع بديهيَّات العلم فدليل عَلَىٰ استخراجها من كبد وكنوز البديهيَّات ؛ فتكون حقَّة ، وهذا هو معنىٰ : تنامي وتطوُّر العلوم ، فإِنَّه يعني : فَتَقَ واِسْتِخْرَاج ما في كنوز البديهيَّات.

إِذَنْ : لابُدَّ من الرجوع إِلى المُحْكَمات والبديهيَّات ؛ فإِنَّها الميزان والمنبع.

نعم ، لَـمَّا كانت المُحْكَمات والبديهيَّات بنود إِلٰهيَّة اِحْتَاجَت إِلى مُعَلِّمٍ إِلٰهيٍّ.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1].

٢ـ بيان حديث الثقلين الوارد عن سيِّد الأَنبياء ﷺ : «**أَيُّها**

---

(١) آل عمران : ٧.

النَّاس ، إِنِّي تارك فيكم ما إِنْ أَخذتم به لن تضلوا بعدي : أَمرين أَحدهما أَكبر من الآخر : كتاب الله ؛ حبل ممدود ما بين السَّماء والأَرض ، وعترتي أَهل بيتي ، وإِنَّهما لن يفترقا حتَّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض»[1].

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٥٢/ ح١١٤. الدر المنثور ، ٢ : ٦٠.

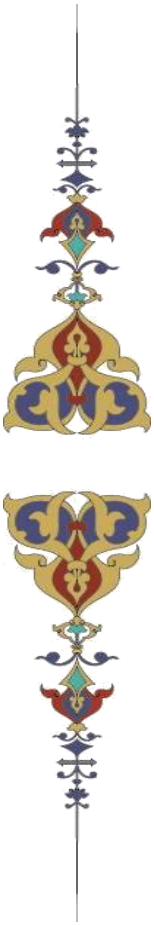

المرادفات اللُّغويَّة والعقليَّة والوجوديَّة تأتي في فقه الفروع

وهذه القضيَّة تأتي في أَبواب فقه الفروع أَيضاً ، فإِنَّ مَنْ يجمد عَلَىٰ الأَلفاظ ولا يتعامل مع مرادفاتها : (اللُّغويَّة) ، و(العقليَّة) ، و(الوجوديَّة والتَّلازمات الواقعية) فقد شَطَّ عن الحقيقة ، وإِرْتَكَب جريمة علميَّة ، وصار حشويّاً وقشريّاً ، أَخباريُّ المسلك كان أَم أُصوليّاً ، شعر بذلك أَم لا.

عصارة ما تقدَّم

وبالجملة : لا يصحُّ للباحث إِذا أَراد الوصول لحقائق الدِّين وغيرها التَّشبُّث بالقشر وسطع وظاهر الأَدلَّة فحسب ، بل لابُدَّ من التَّوَغُّل والغَوْرِ ـ بالموازين والشَّواهد العلميَّة ـ في بطون معانيها وحقائقها بحيث لا تتناقض ولا تتصادم النتائج مع مُحكمات الدِّين.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في وصيَّته لأَمير المؤمنين عليه السلام : «**يا**

عَلِيّ ، إِنَّ هذا الدِّين متين فأَوغل فيه برفق ...»[1].

ثانياً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «إِنَّ قوماً آمنوا بالظَّاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء ، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظَّاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ، ولا إِيمان بظاهرٍ إِلَّا بباطنٍ ، ولا بباطنٍ إِلَّا بظاهرٍ»[2].

ودلالتهما واضحة.

نظرة الحشويَّة وأَصحاب القشر والظَّاهر

ثُمَّ إِنَّ مَنْ يكون ديدنه النَّظر بنظرةٍ سطحيَّةٍ لبيانات الوحي الإِلٰهيّ لا يلتفت إِلى هذه الأَقسام الوسيعة من التَّواتر ، ولا يُؤمن بها ، بل يعدُّها ثلمة علميَّة ومعرفيَّة عَلَىٰ مَنْ يعمل بها. فالتفت.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٦٨ : ٢١٤/ ح٨. الكافي : ٢ : ٨٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ٦٩ : ٩٧/ ح١٣. بصائر الدرجات ، ٢ : ٥١٨/ ح١٨٩٦ـ ٥. مختصر البصائر : ٧٨.

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج ، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.

٢. إحقاق الحقّ ، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري.

٣. الاختصاص، الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي.

٤. إرشاد القلوب ، الشيخ الحسن بن علي بن محمد الديلمي.

٥. الإرشاد ، المفيد.

٦. أُصول الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٧. إعلام الورى ، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي.

٨. إكمال الدين، الشَّيخ الصدوق، محمد بن عليّ بن بابويه القمي.

٩. أَمالي السيِّد المرتضى.

١٠. الأَمالي ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي.

١١. الأَمالي ، الشَّيخ الصدوق ، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

١٢. بحار الأَنوار ، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي.

١٣. البرهان ، هاشم بن سليمان البحراني.

١٤. بشارة المصطفى ، الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن يزدبان الطبري.

١٥. بصائر الدرجات ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار.

١٦. تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ(تأريخ الطبري) ، ابن جرير الطبري.

١٧. تأويل الآيات ، السيد علي الحسيني الإسترابادي النجفي.

١٨. تحف العقول ، ابن شعبة الحرّاني.

١٩. تذكرة الخواص ، يوسف بن قزغلي البغدادي السبط ابن الجوزي.

٢٠. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي.

٢١. تفسير العياشي ، محمَّد بن مسعود العياشي.

٢٢. تفسير القمي ، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي.

٢٣. تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري.

٢٤. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي.

٢٥. تهذيب الأَحكام ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

٢٦. تهذيب الكمال ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي.

٢٧. التوحيد ، الشَّيخ الصدوق ، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

٢٨. ثواب الأعمال وعقاب الأَعمال ، الشيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٢٩. ثواب الأعمال ، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق.

٣٠. الخصال ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٣١. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.

٣٢. ذخائر العقبىٰ ، للطبري.

٣٣. الذريعة ، أغا بزرك الطهراني.

٣٤. رياض الجنان : (مخطوط).

٣٥. الزام الناصب ، علي اليزدي الحائري.

٣٦. شرح أُصول الكافي للمازندراني.

٣٧. شرح نهج البلاغة ، ابن أَبي الحديد المعتزلي.

٣٨. صحيح الترمذي.

٣٩. صحيفة الأَبرار ، الميرزا محمد تقي الممقاني.

٤٠. علل الشَّرائع ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٤١. علم اليقين ، للفيض الكاشاني.

٤٢. عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي.

٤٣. عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٤٤. عيون المعجزات ، الشيخ حسين بن عبدالوهاب.

٤٥. الغدير ، الشَّيخ عبدالحسين أَحمد الأَميني النجفي.

٤٦. غرر الحكمة ، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي.

٤٧. غيبة النعماني ، أَبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني.

٤٨. الفتوح لابن أَعثم.

٤٩. الفردوس ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني.

٥٠. فروع الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٥١. فضائل أَمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة الكوفي.

٥٢. قرب الإِسناد، الشيخ أبي العبَّاس عبدالله بن جعفر الحميري.

٥٣. الكافي ، الشيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٥٤. كامل الزيارات ، جعفر بن محمد بن قولويه القمي.

٥٥. كتاب الاقبال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس.

٥٦. كتاب الغَيْبَة ، الشَّيخ الطوسي.

٥٧. كتاب : (سليم بن قيس) ، سليم بن قيس الهلالي.

٥٨. كمال الدين، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٥٩. كنز العمَّال ، المتقي الهندي.

٦٠. كنز الفوائد ، الشَّيخ محمَّد بن عليّ الكراجكي الطرابلسي. (مخطوط).

٦١. كنز جامع ، علم بن سيف بن منصور الحلّي (مخطوط).

٦٢. مجمع البيان ، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي.

٦٣. المحاسن ، المحدّث أبي جعفر أحمد بن محمَّد بن خالد البرقي.

٦٤. المحتضر ، الشيخ عزّ الدِّين أبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحليّ.

٦٥. مختصر البصائر ، الحسن بن سليمان الحلي.

٦٦. مرآة العقول ، الشَّيخ محمد باقر المجلسي.

٦٧. المزار الكبير ، الشيخ محمَّد بن جعفر المشهدي.

٦٨. مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشَّاهرودي.

٦٩. مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الإِفتخاريَّة ، رجب البرسي.

٧٠. مصباح الزائر ، السيد علي بن موسى بن طاووس.

٧١. مصباح المتهجِّد ، محمد بن الحسن الطوسي.

٧٢. معارج العُلىٰ، محمد صدر العالم العمري الدهلوي. (مخطوط).

٧٣. معاني الأَخبار، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٧٤. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي المعروف بالواقدي.

٧٥. من لا يحضره الفقيه، الشَّيخ الصدوق، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

٧٦. مناقب آل أَبي طالب ، محمَّد بن عليّ بن شهر اشوب.

٧٧. ميزان الحكمة ، محمَّد الريشهري.

٧٨. نهج البلاغة ، شرح ابن أَبي الحديد.

٧٩. نهج البلاغة ، للإمام أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٨٠. الهداية الكبرى ، لحسين بن حمدان الخصيبي.

٨١. وسائل الشيعة ، محمَّد بن الحسن الحر العاملي.

٨٢. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين ، السيِّد رضي الدِّين عليّ بن موسى بن طاووس.

٨٣. ينابيع المودَّة، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي القندوزي.

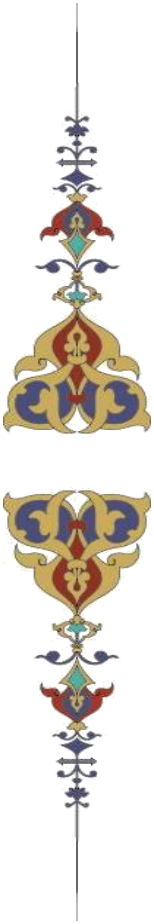

الْمُقَدَّمَة ٧

أَنواع التَّرادف في المنهج المعرفي ١١

النَّحو الأَوَّل: ١٣

التَّرادف اللُّغوي (اللَّفظي) ١٣

النحو الثَّاني: ١٧

التَّرادف العقليّ (المعنويّ) ١٧

صناعة : (التَّحليل والتَّركيب) ٢٧

مدرَسَة النَّصِّ : تمسُّكٌ بقوالب بيانات الوحي والغور فيها ٣١

عُمُوم عِلْم التَّحليل لِجُملة العلوم ٣٣

أَمثلة تطبيقيَّة ٣٩

المثال الأَوَّل : ٣٩

نُكْتَة كُنْيَة سيِّد الأَنبياء ﷺ بـ : (أَبي القاسم) ٣٩

المثال الثَّاني : ٤٣

قاعدة : « لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا » ... ٤٣

النَّحو الثَّالث : ٥٥

التَّرادف الوجودي ٥٥

خلاصة ما تقدَّم ٦٣

المرادفات اللُّغويَّة والعقليَّة والوجوديَّة تأتي في فقه الفروع ٦٧

فهرست المحتويات ٧٩

عصارة ما تقدَّم ٦٧

نظرة الحشويَّة وأَصحاب القشر والظَّاهر ٦٨

فهرست المصادر ٦٩

فهرست المحتويات ٧٧